٦

مشروع هنري كيسنجر!!

هنا كتاب كتبه السير "أرستل هورل" وهو أحد أهم المؤرخين العسكريين الإنجليز وكان ضيفي في إحدى المرات بالقاهرة.. وطلب مقابلتى لأنه كان يكتب كتاباً عن "(كيسنجر) سنة ١٩٧٣" وهو اسم الكتاب وأحب كمؤرخ أن يكتب عن سنة واحدة وهى ٧٣ معتبرها في السياسة الدولية سنة (هنرى كيسنجر) لأنه فيها تحرك في الوفاق وتحرك أمام الصين وتحرك في أزمة الشرق الأوسط وكان أكبر نجاح له.

لكن السير "أرستل هورل" تصور أنه سيركز على هذه السنة فقابل (كيسنجر) وهو يكتب كتابه فطرح له بعض الأسماء وكنت منهم لكى يقابلهم لمعرفة ما جرى سنة ٧٣.

يحكى "رستل هولم" نقلاً عن (كيسنجر) أنه كان يدخل للسادات.. وهو متخوفاً من اللوم لأنه كان السبب في الجسر الجوى الذي أنقذ إسرائيل.. أو أنقذ المعبد من الانهيار كما كان يقول ديان.. وكان هذا الجسر مهماً للغاية.. ولكن هناك قضية أخرى وهى الاتصالات السرية.. وكان هارلم يتوقع أن يفاتحه (السادات) في موضوع الجسر الجوى أو قضية وقف إطلاق النار.. لكن لم يفاتحه (السادات) وقال له أنا لا أريد الدخول في تفاصيل.. بل اقترح عليك مشروعاً تسميه (هنرى كيسنجر) ولكن اسمعنى جيداً فأنا سوف أعكس كل ثوابتي السابقة.. فنحن قد دخلنا في مواجهة معكم أنا لا أؤمن بها.. ولا اعتقد فيها وأنا أرى أن الوقت قد حان لعكسها.. وأنا لا أريد الاتحاد السوفييتى.. فقد أدى دوره ولم تكن هناك حروب.. ومن الآن فصاعداً سأكون صديقاً الولايات المتحدة.

وقد أدهش هذا الكلام (هنرى كيسنجر) وحكاية أن (السادات) قال له إنه ليس خليفة لـ(جمال عبد الناصر).. وأنه فقط خلف للفراعنة الكبار.. وأنه ينظر لوجهه ويرى أنه يبدو كرأس أخناتون.. لكن هنا وسط معركة.. وأجواء متوترة.. وهناك وفد عربى قادم من جيوش وأسلحة.. وهناك جبهة شرقية وجيوش عربية متمركز من أول الجولان إلى العين السخنة في مصر.. والسلاح الذي نملكه هو سوفييتى.. واعتقد أن ذلك كان أكبر طمأنينة يمكن أن نعطيها للأمريكان.. وهذه النقطة هى التى تهمنى في هذه اللحظة.. فأنا هنا أمام رجل - سواء اتفقت أو اختلفت معه - تقدم بجسارة وقال لهم في لحظة حرجة أن كل ما مضى انتهى وأن سياستى تكون معكم.. لا ضدكم.. وقبلها استطاع أن يحقق حدثاً مهماً ألا وهو كسره لأسطورة تفوق الجيش الإسرائيلى.. ووافقه (كيسنجر) في الأيام السبع الأولى في الحرب.. ويقول (أنور السادات) وهذا مكننى من أن أغير ما أشاء في مصر.. ودخل في رهان أن يسلم ٩٩٪ من الأوراق لأمريكا ومع هذا فذلك الرهان وصل للحد الذي رأيناه.

أما المشهد الثالث وكنت موجوداً فيه وهو لقاء مع "كوفد دمورفيل" وهو سياسى ودبلوماسى فرنسى مهم جداً وكان صديقا للجنرال (ديجول) وسفيراً لفرنسا في مصر في الفترة من سنة ٥٤ إلى سنة ٥٦ ورحل "دمورفيل" قبل تأميم السويس ليصبح وزيراً للخارجية.. وأثناء وجوده في القاهرة رأيته كثيراً جداً.. وكان بيننا مناقشات طويلة.. كما كان بيننا نوع من الود والمناقشات الساخنة بسبب الجزائر.

لعبة الشرق الأوسط

قال لى "كوفد دمورفيل" إنه يعرف مصر جيداً وأننا الإثنان على المعاش نلعب الجولف.. وقال لى إننا فهمنا لعبة الشرق الأوسط خطأ.. وأن هناك معركة هى معركة إسرائيل.. وأن الغرب وإنجلترا وأمريكا يوافقون على دولة إسرائيل ويساندونها.. وهذا صحيح ولكن هناك مشروع آخر لدخول إسرائيل وهو خروج مصر.. ولا يتحقق إلا بخروج مصر.. وأن إنجلترا هى التى ساعدت على دخول إسرائيل.. لكن أمريكا هى الدولة التى تعمل على خروج مصر.. وقال لى أننى قد رأيت الجنرال (ديجول).. وعرفت منه طبيعة العلاقة بين السياسة والخريطة.. ووضعت الخريطة أمامى فقال لى أن مصالح أمريكا ترى أن مصر ليست مهمة في حد ذاتها.. وتذكروا أن مركز الثقل في العالم كان في قناة السويس.. وفقدت بعد ذلك أهميتها من الناحية الأمريكية وأصبحت تدور حول رأس الرجاء الصالح.. ولديها مراكب كبيرة تستطيع قطع المسافة والتكاليف لم تعد كبيرة.

وأن قناة السويس مهمة لأوروبا الغربية.. والهند.. والصين.. ولكن بالنسبة للأمريكيين لم تعد مهمة.. فقد انتقل مركز الثقل إلى الخليج.. ثم المحيط الهادى بين الصين وأمريكا في وجود الاتحاد السوفييتى واليابان أيضاً وكانت القوة الرابعة وهو الصراع على العالم مقبل عليها في المرحلة القادمة.. وأن الخطأ أننا لم ننتبه لهذا.

وعندما قامت إنجلترا بالانسحاب من قناة السويس فهمنا أن إنجلترا تعيد تمركز قواتها وهذا غير صحيح.. والأهم من الاستراتيجية وكانوا يعرفون ذلك في أوروبا أن قناة السويس هناك شرق.. وغرب القناة.. وفي الأخيرة لم يكن عندهم مانع أن يكون هناك دولة أفريقية أخرى مسلمة في حدودها وأن الخطر باستمرار هو تخطى قناة السويس.

وقال لى إنه في وقت (الملك فاروق) صنعت مصر صلة مع المشرق بالجامعة العربية وبعد صدمة فلسطين وقف لعدم ظهور مصر بالبريق والقوة المتوقعة.. لكن الذي حدث بعد ذلك هو أن عبد الناصر أحضر المشرق العربى كله إلى القاهرة وأصبحت هناك مشكلة هذا المشرق العربى فيجب أن تخرج مصر من المشرق وهذا المشرق الذي جاء من الغرب لا بد أن يخرج من الغرب وخط قناة السويس هو الخط الفاصل.

استمعت إلى "دمورفيل" وكيف أنه كان هناك مشروعان وليس مشروعاًعربياً واحداً ألا وهو دخول وخروج.. ومشروع الخروج مازال يأخذنا حتى هذه اللحظة في الأمم المتحدة.. وبعد(٦٧) قمنا بكل ما هو ممكن أن نحصل على حق إزاء إسرائيل.. ثم جاء (الملك حسين) الذي أبدى استعداده أن يعترف بإسرائيل وكان ذلك قبل (٦٧) ثم جاء الرئيس (السادات) وأعطى بلا حدود ولم يأخذ شيئاً في المقابل.

في تلك الأوقات الصعبة والخطرة من خريف(١٩٦٧) وبينما تبذل كل هذه الجهود لإعادة بناء جبهة معينة وقضية معينة ومواقف وقوة معينة بمعنى أن هناك شعباً اختار أن يقف ويقاتل.. وأمة عربية اختارت مساندة المعركة.. وهناك جسور يمكن بناؤها مع العالم الخارجي.. وطرق وممرات آمنة يمكن فتحها وسط حقول الألغام.. يبدو لأى مراقب أن هناك في الموقف حلقة ناقصة.. وهذه الحلقة الناقصة ببساطة هى:

أين شعب فلسطين؟

شعب فلسطين وأرضه في هذه اللحظة هما مركز القضية.. رغم أن القضية أوسع بكثير لأنها قضية الأمن العربى.. لكن بؤرة المركز لابد أن تكون حاضرة.. وظاهرة ومؤثرة.. وفي هذا الوقت بدا الشعب الفلسطينى وقتها مثقلاً بهموم كثيرة.

وفوجئ شعب فلسطين في هذه اللحظة بالأزمات.. وبقرار انسحاب الجيش الأردنى من الضفة الغربية.. وحاول بعض الناس المقاومة لكنهم سقطوا شهداء.

ولم تمض إلا أيام معدودة واتضح حجم المأساة.. لأن الضفة الغربية وغزة أصبحا كلتاهما تحت الاحتلال.. وفي هذه اللحظة التى كان يجرى فيها البحث عن الشعب الفلسطينى.. كان الشعب في حالة إدانة لأنه كانت لديه القيادات مختلفة مثل الحاج أمين الحسينى والذي أدى دوراً باهراً سنة ١٩٣٦ وقاد قدر ما استطاع.

وبعد عودة (أمين الحسينى) من الحرب ليبحث عن قضية فلسطين ودوره فيها كان المشروع الإسرائيلى على وشك أن يبدأ.. فقابل الحسيني (الملك فاروق) في محاولة لتهريبه لمصر وحتى لا يحاكم في أوروبا بعد الاحتلال.. وبعد محاولاته لإظهار وجود الشعب الفلسطينى ولتحريك همم الفلسطينين بعد الحرب وبعد الهجمة الصهيونية بالهجرة من فلسطين.. وكان يواجه موقفاً صعباً للغاية لأنه إلى جانب مطاردته كانت الدول العربية لا تريد أن تظهر شكل وجه أمين الحسينى بأكثر مما ينبغى.. لأن ذلك كان يعنى بالنسبة لهم أنهم سيفقدون على الفور الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا لأن صور الحسيني مع هتلر كانت موجودة في كل مكان.. وكانت تستخدم ضده.

أحمد الشقيري[1]

وما أن توارى الحسيني حتى ظهرت قيادات أخرى مختلفة.. لكن مؤتمر القمة العربى سنة ١٩٦٤ أنشأ منظمة تحرير.. واختار الرئيس (أحمد الشقيرى) رئيساً لهذه المنطقة وكان محامياً.. وفي مرحلة سابقة التحق بالوفد السورى بالأمم المتحدة وكذلك الوفد السعودى.. ومَثَلَ السعودية لبعض الوقت في الأمم المتحدة.. وفي ذلك الوقت لم تكن الخطوط الفاصلة بين الشام وشبه الجزيرة العربية فاصلة وقاطعة كما هى الآن.. لكن أحمد شقيرى قام بأدوار للتعبير عن القضية الفلسطينية وبالتالى أصبح وكأنه المرشح الطبيعى ليكون رئيساً لهذه المنظمة في مرحلة حشد واستعداد نفسى وتعبئة نفسية لكى تعود قضية فلسطين بوجهها الحقيقى في المواجهة.

ظهرت بعد ذلك جماعات فدائية تقاوم وظهرت على أطراف الأرض المحتلة خصوصاً في سوريا حيث كان هناك جماعات مقاومة.. وظهرت حركات مثل حركة تحرير فلسطين.. وأخذت أول حرف من كل حركة ومن تحرير ومن فلسطين وعكستهم لتكون فتح.. وظهرت حركة فتح.. وظهرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.. وظهرت حركات أخرى.. والحركة الشعبية لتحرير فلسطين كان أصلها حركة المقاومين العرب التى كان يرأسها الدكتور (جورج حبش) وهو رجل مثقف ومناضل ومقاتل وكان على صلة بمصر.. وعندما جاءت مقدمات(١٩٦٧) ظهر الخيار الماركسى عند بعض الحركات الثورية العربية.

أين فلسطين؟

في خريف ٦٧ كانت هناك التباسات كبيرة جداً في المقاومة الفلسطينية.. وبقيت هناك مسألة مهمة.. وهى أين فلسطين؟.

وكان يمثلها في ذلك الوقت الأستاذ (أحمد الشقيرى) لكنه رجل خطيب وقانونى وقد لا يكون صالحاً لهذه المرحلة خصوصاً وأنه كانت قد ظهرت آنذاك جماعات فلسطينية خارجة على منظمة التحرير الفلسطينية وتعارض منهجها بعد الحرب.

---

(١) هو قيادة فلسطينية وليس أحمد شقيري الداعية السعودي المعروف حالياً.

معركة التوريط

وكتب (أحمد الشقيرى) في مذكراته - وهذا يحسب له - أنه قد نبه القيادة المصرية في ذلك الوقت أن بعض الجماعات المسلحة التى تتكلم عن المقاومة هدفها التوريط.. وأنها منذ أوائل عام ٦٥ وحتى عامي ٦٦و٦٧ تخوض معركة أسمتها وقتها "معركة التوريط" قصدت فيها بعض العمليات في سوريا.. وشجعتها بعض العناصر المغامرة في حزب البعث.. وتقوم بعمليات مختلفة كنسف طرق أو كبارى في المنطقة القريبة من الحدود مع سوريا.. وهذه العمليات قد لا تكون مجدية.. ولكنها تقوم بذلك لتثبت أن هناك مقاومة موجودة.. وهم في ذهنهم سوريا وإسرائيل.. وأن هذه العمليات سوف تستدعى ردة فعل على سوريا.. واذا ما حدث رد فعل على سوريا فمصر ستلجأ بالتأكيد إلى مساعدة سوريا.

وكانوا يتصوروا أنهم إذا ورطوا الدول العربية لتدخل في المعركة مهما كانت التكاليف فهذا معناه إعادة إحياء للقضية.. فستدخل سوريا.. وتدخل مصر.. وكل الدول العربية وستكون معركة كبيرة.

وكان الأستاذ ((أحمد الشقيرى)) متخوفاً من هذا الموضوع.. وهنا لابد أن اعترف أنه أعاد النظر في هذا.. وعقد مناقشات كثيرة جداً مع بعض قيادات هذه الجماعات الفدائية التى تعمل في سوريا.

وأنا أظن أن الورطة والأزمة في حرب (٦٧) كانت أكبر مما قامت به هذه الجماعات.. لأنه كان هناك حالة تربص وسباق مع الزمن بشكل معين قبل أن تقوى الدول العربية وخصوصاً مصر في ذلك الوقت.

ولو طلقة واحدة

وهنا طلب (جمال عبد الناصر) من (محمود رياض) وزير الخارجية أن يتحدث مع (أحمد الشقيرى).. وأن تُطلق طلقة واحدة في فلسطين لكى يعرف العالم أن هناك شعبٌ.. وهناك قضية ومقاومة..

ولما تحدث (محمود رياض) مع الشقيرى كان الأخير يعرف كما قلنا أن هذه الجماعات بشكل أو بآخر كان هدفها التوريط.. لكن كان هناك خلاف واضح في الساحة الفلسطينية بين الخطباء وبين المقاتلين.

حكاية الرائد الشهيد (خالد عبدالمجيد)

في ذلك الوقت جاء لى محرر شاب في الأهرام هو المحرر (إحسان بكر) وقال لى أن هناك ضابطٌ أردنيٌ من أصل فلسطينى تمرد على الجيش الأردنى وشارك في عمليات المقاومة.. وأنه لديه ما يريد أن يحكيه عما يجرى في الأرض المحتلة.

كان هذا الرائد الشاب يدعى (خالد عبدالمجيد) استشهد فيما بعد.. وعندما قابلته واستمعت له عندما حضر لى مع (إحسان بكر) وحكى لى عما يجرى.. وعن العمليات الفدائية التى قامت بها بعض المجموعات.. و تصورت أنا أن هذا يلبى طلباً يمكنه الإجابة عن سؤالٌ معلق وهو أين الشعب الفلسطينى كرمز لقضية المقاومة؟.

وعندما تحدثت عن هذا الشاب مع (جمال عبد الناصر) طلب منى مقابلته ليستمع له.. وفي يوم كان عندى فطلبت منه أن يأتى معى في سيارتى.. وقلت له أنه سيقابل مسئولاً مصرياً.. لم يكن يتخيل من هو.. ولكن لما وصلنا للمنزل.. ودخلنا بالسيارة الى الباب أصيب الشاب بهستيريا.. وحاولت تهدئته قبل مقابلة الرئيس.. وعندما دخلنا ظل مرتبكاً لفترة أمام (جمال عبد الناصر).. ثم بدأ يحكى.. وبدأ (جمال عبد الناصر) يسأله وهو يجيب.. ويتحدث عن حركات مقاومة كثيرة وموجودة.. ويتحدث عن مواقع في الخليج كان (جمال عبد الناصر) يعرفها جيداً.. وظهر لى أن (جمال عبد الناصر) يرى في هذا الشاب إجابة عن سؤال يحيره.. وقال له ابقى على اتصال مع هيكل.

عاد بعد ذلك خالد الحسن[1] العضو القيادى في حركة فتح.. ومعه أبواللطف السيد (فاروق قدومي) [1].. وأبو إياد (صلاح خلف) [2] وجلست معهم واستمعت لهم كثيراً

---

(١) يعد خالد "محمد سعيد" الحسن "أبو السعيد" فارساً من فرسان حركة (فتح) الأوائل وقائداً طليعياً من رموز النضال الفلسطيني.. وأحد مؤسسي وعضو اللجنة المركزية لفتح.. وُلِدَ في مدينة حيفا في ١٩٢٨/٢/١٣ لأسرة وطنية متدينة احتضنت اجتماعات الشيخ عزالدين القسام ورفاقه.. أرسله أهله لدراسة الاقتصاد في لندن عام ١٩٤٧إلا أنه هجّر مع عائلته إثر النكبة عام ١٩٤٨ إلى لبنان فسوريا ثم تفرقوا في الشتات.. تبوأ أبو السعيد منصب رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية ما بين (١٩٦٨-١٩٧٤) وعمل مفوضاً للتعبئة والتنظيم ما بين (١٩٧١-١٩٧٤).. وتسلم رئاسة لجنة العلاقات الخارجية في المجلس الوطني الفلسطيني منذ العام ١٩٦٨.. واعتبر عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح منذ انطلاقتها ورسميا منذ العام ١٩٦٧ وتسلم منذ الثمانينات مهمة الإعلام في حركة فتح.. اشتهر أبو السعيد كمتحدث بارع ومفكر ومنظر لا يشق له غبار.. صدر له أكثر من عشرين كتاباً منها: الدولة الفلسطينية شرط للسلام العادل.. الاتفاق الأردني الفلسطيني.. العلاقة الإسرائيلية الأمريكية.. يوميات حمار وطني.. قبضة من السلام الشائك.. القيادة والاستبداد. توفي في المغرب في ١٩٩٤/١٠/٩.

وقالوا لى عن ياسر (عرفات).. وأنا فيما بعد سأتكلم عن ياسر (عرفات).. وهو على أى

---

(١) فاروق قدومي (أو أبواللطف السيد) ولد سنة ١٩٣١عمل رئيساً للدائرة السياسية بمنظمة التحرير الفلسطينية وأمين سر حركة فتح من المعارضين لاتفاقية أوسلو.. في بداية حياته السياسية انضم إلى حزب البعث العربي الاشتراكي منذ أربعينيات القرن الماضي وأثناء دراسته بمصر التقى ياسر عرفات (أبو عمار) وصلاح خلف (أبو إياد) ليتم تأسيس حركة التحرير الوطني الفلسطيني في نهاية الخمسينات بمشاركة خليل الوزير (أبو جهاد) ومحمود عباس (أبو مازن).في ١٩٦٩ رشحته حركة فتح لعضوية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية التي أصبح رئيسا لدائرتها السياسية في ١٩٧٣ أقام في الأردن غير أن السلطات الأردنية اعتقلته إثر أحداث أيلول الأسود عام ١٩٧٠ فغادر الأردن إلى سوريا.. كان القدومي ضمن قيادات منظمة التحرير الفلسطينية التي غادرت بيروت إلى تونس في ١٩٨٣ بعد الغزو الإسرائيلي للبنان..عارض القدومي اتفاقات أوسلو التي اعتبرها تشكل خيانة للمبادئ التي قامت عليها منظمة التحرير الفلسطينية.. ورفض العودة مع قيادات منظمة التحرير إلى الأراضي الفلسطينية وظل يقيم في تونس.. عقب وفاة الرئيس ياسر عرفات في نوفمبر ٢٠٠٤ نشب خلاف بين القدومي ومحمود عباس حول خلافة عرفات على رأس حركة فتح.. عرف القدومي أيضا بمعارضته الشديدة للخلاف بين حركتي فتح وحماس الذي يرى أنه سيؤدي إلى صراع شامل بين مختلف الفصائل الفلسطينية.. ثارت الوثيقة التي اصدرها فاروق القدومي يوم ١٤-٧-٢٠٠٩ التي اتهم فيها دحلان وعباس باغتيال عرفات في محضر مع قادة أسرائيلين ردود فعل كبيرة.. القدومي وأكد في لقاء على الجزيرة صحة الوثيقة التي أدت أيضاً إلى اغلاق مكتب الجزيرة في أراضي السلطة.

(٢) صلاح خلف اسمه الحركي أبو إياد.. هو سياسي فلسطيني بارز.. من مؤسسي حركة تحرير فلسطين (فتح)..وقائد الأجهزة الأمنية الخاصة لمنظمة التحرير وحركة فتح لفترة طويلة.. أشيع أنه زعيم منظمة أيلول الأسود.. قدم والده من مدينة غزة إلى يافا.. وهناك ولد صلاح خلف عام ١٩٣٣ وعاش أول سنين حياته حتى قبل قيام الكيان الصهيوني بيوم واحد.. حيث إضطر وعائلته الذهاب إلى غزة عن طريق البحر.. فأكمل في غزة دراسته الثانوية وذهب إلى مصر عام ١٩٥١ ليكمل دراسته العليا في دار المعلمين هناك.. حصل على ليسانس تربية وعلم نفس من جامعة القاهرة.. انضم أثناء وجوده في غزة إلى العمل الوطني وكان لا يزال قاصرا.. وفي أثناء وجوده في مصر.. نشط مع ياسر عرفات وآخرين في العمل الطلابي وقاما بدور بارز في اتحاد طلاب فلسطين.. قبل أن يعود إلى غزة مدرسا للفلسفة حيث واصل نشاطه السياسي وبدأ ينحو به منحا عسكريا.. وانتقل إلى الكويت عام ١٩٥٩ للعمل مدرساً وكانت له فرصة هو ورفاقه وخصوصاً ياسر عرفات وخليل الوزير لتوحيد جهودهم لإنشاء حركة وطنية فلسطينية وهي حركة "فتح"التي وبدءوا بعرض مبادئهم أمام الجماهير الواسعة بواسطة مجلة "فلسطيننا".. وفي العام ١٩٦٩ بعد دمج حركة فتح في منظمة التحرير الفلسطينية بدأ اسم أبو إياد يبرز كعضو اللجنة المركزية لفتح.. ثم مفوض جهاز الأمن في فتح.. ثم تولى قيادة الأجهزة الخاصة التابعة للمنظمة ومنذ عام ١٩٧٠ تعرض أبو إياد لأكثر من عملية اغتيال استهدفت حياته. أصدر كتاب (فلسطيني بلا هوية) عام ١٩٧٨ على شكل سلسلة من اللقاءات مع الصحفي الفرنسي اريك رولو حيث حاول نفي أي علاقة له بأيلول الأسود.ويعتبر أبو إياد أحد أهم منظري الفكر الثوري لحركة فتح. واحد مؤسسي ركائز جهاز الرصد الثوري. وكان يسمى على النطاقات النخبوية في حركة فتح بجارنج فلسطين نسبة للدبلومسي السويدي المشهور جارنج وذلك لقدرته الفائقة على صياغة التوجهات والاستراتيجيات وبناء التحالفات وإدارة التفاوض بشكل فائق الحكمة.. اغتيل في ١٤ يناير ١٩٩١ في تونس وحملت إسرائيل مسؤولية الحادث.. وكان المنفذ أحد التابعين لأبى نضال.. وتقول مصادر مطلعة جداً أن عملية الاغتيال كانت بتوجيه من الرئيس العراقي صدام حسين وذلك بسبب مشادات عنيفة حصلت بينهما عندما طلب منه عدم زج اسم القضية الفلسطينية في خلافه مع الكويت.. حيث عمل أبو إياد جاهداً في آخر أيامه على النأي بالملف الفلسطيني عن الخلافات العربية.

حال رجل حيرنى.. وجاءوا لى ب(ياسر عرفات)في الأسبوع الذي تلاه وكانت أول مرة أراه فيها.. وقلت وقتها لـ(جمال عبد الناصر) أنى رأيتهم كذا مرة.. وأتصور أنه قد يكون مفيداً أن يراهم خصوصاً وأنه كان يبدى اهتماماً كبيراً بجماعات المقاومة.. وقال لى أنه من الغريب أن تتخذ كل الجهات الرسمية في مصر مواقف مختلفة من فتح.. فالمخابرات كانت تعتقد أن فتح لها اتصالات بالإخوان المسلمين وهذا صحيح.. وفتح كانت تعتقد أنهم كانوا العناصر التى تساعد على التوريط بشدة.

وإلى أن حُدِدَ الموعد والذي كان في العاشرة صباحاً في أواخر سبتمبر سنة(١٩٦٧) وتجمعوا كلهم في مكتبى في الأهرام الذي كان آنذاك في شارع الساحة.. وكانوا يعرفون أنهم سيقابلون (جمال عبد الناصر).. لكنهم كانوا لا يتصورون أن هذا سيحدث ويقابلونه هكذا ببساطة.

ثم تحركنا وتكدسنا في سيارتى وسيارة أخرى تابعة للأهرام وقلت لهم: على أى حال ستقابلون الرئيس.. وقتها حطَ عليهم الصمت.. وشعرت بنوع من الرهبة.. ووصلنا وكانت المقابلة.

ولم يخف الرئيس عبد الناصر أى شيء وقال أريد أن أقول لكم شيئاً بوضوح أن كل الجهات الرسمية في مصر ضدكم.. ولا يثقوا فيكم.. لكن إزاء طلبى وهو سماع طلقة في فلسطين كل يوم.. فأنا مستعد أن أقوم بأية مجازفة.. ثم تحدثوا عن (ياسر عرفات)ودوره البارز في حركة المقاومة ونفوا أن يكونوا على علاقة بالإخوان المسلمين.. وقال (ياسر عرفات)أنه كان متطوعاً في الجيش المصرى سنة ١٩٥٦ وكان هناك كلام عاطفي ثم انتقلنا إلى ما يمكن عمله.

فتحدثوا عن الأوضاع في فلسطين.. وما الذي يستطيعون القيام به.. وما يقدموه لمصر والدول العربية.. وأظن أنه كان هناك بناء لقاعدة أو لجسر من الثقة بينهم في هذه المقابلة.

وفي هذه المقابلة أيضاً طلب منى الرئيس أن أقدمهم للواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات العسكرية في ذلك الوقت.. وهناك مساعدات مالية وعسكرية ستقدم لهم.. وهناك نواحى تدريبية سنوفرها لهم.

بعدها رتبت مع الفريق صادق لكى يقابلوه.. وأظن أن المسائل صارت فيما بعد بطريقة مُرضية للغاية.. وأظن أنه ظهر أثر ما كان في القاهرة على الموجود في فلسطين.

وأخذوا أسلحة وبدأوا في التدريبات.. وحصلوا على المعونات بقدر ما تم الاتفاق عليه مع الفريق صادق.. وظهرت فلسطين في حيوية أكثر مما كانت.

في ذلك الوقت كان (أحمد الشقيرى) وأنا بأثر رجعى أعتذر له حيث كانت هناك رغبة وهم يعملون بالمقاومة.. كانت العلاقات في الوضع الفلسطينى غير مستقرة لأن هناك قيادة سياسية تتحدث.. فمصر هى التى أنشأت منظمة التحرير أو على الأقل اقترحت إنشاءها.. وهناك عمل عسكرى مصر تساعد في بناءه.. والمنطق يدعو للاندماج.. حتى أن الأستاذ شقيرى كتب في مذكراته أنه كان هناك مؤتمر وطنى لمنظمة التحرير.. وأنا اعتذر للشقيرى لأنه رأى أن تكون منظمة التحرير هى حركة فتح.. لكن الشقيرى كتب في مذكراته أنه قرأ المقالة في الأهرام.. وفهم الرسالة وقدم استقالته.. ودخلت فتح منظمة التحرير وأصبحت الجبهة السياسية والعسكرية جبهة واحدة.. وأظن أنهم أرادوا تفعيل هذا.. ودخلوا فيما يسمى بمعركة الكرامة والتى أراد فيها الجيش الإسرائيلى أن يضرب قواعد الفدائيين في الضفة الشرقية بالأردن.. ولاحظ الإسرائيليون ظهور حالة جديدة على المقاومة الفلسطيينة.. وأن هناك معسكرات تقام على الضفة الشرقية أمام جسر (الملك حسين).. وأمام جسر الملك عبدالله.. وأن هناك في هذه المنطقة حشودٌ فدائية بشكل أو بآخر.. وبدأوا يتربصون به.. ويستعدون لضربها مبكراً.. ويجب أن أسلم هنا أن (الملك حسين) والجيش الأردنى دخلا المعركة والتى كانت بغرض تصفية الوجود العسكرى الفدائى الفلسطينى في هذه المنطقة ـ شرق الأردن ـ وهو يحشد الجيش الأردنى.

ما ترتب على معركة الكرامة

بعد معركة الكرامة حدثت عدة أشياء منها:

- اعتراف مصر بمنظمة التحرير.. وحركة فتح..
- تبع ذلك ظهور (ياسر عرفات) بطريقة واضحة..
- ثم ظهور المنظمة بطريقة مقاتلة..
- وظهر العالم العربى متشوق جداً لفعل وتحريك قضية فلسطين..
- تسابق الجميع عليها بإعطاء منظمة التحرير تبرعات و أسلحة بعد موقف مصر ..

وقد أرسل لى الرائد (خالد عبدالمجيد) رسالة عن معركة الكرامة وكان يحكى فيها عن أعاجيب ثم استشهد بعدها.

وكنت قد قلت للرائد خالد قبل وفاته عندما سألنى عن رأيى في المعركة أن المعركة هائلة لكن أكاد أرى بعينى مزالق أخاف منها جداً.. وعندما أعود لأرى ماذا قلت له وقتها أجد صورة غريبة.. فقد قلت له رغم أننى أرى ما فعلتوه بكل المعايير له قيمة.. لكننى أخشى عليكم لأنكم أصبحتم تبالغون في المعارك.. ومعركة الكرامة.. وغيرها جيدة للغاية.. لكننى أخاف جداً من وهم أنكم تتصورون أن بمقدوركم تحرير فلسطين.. وأخاف أن يخطر بخيالكم ما يتعدى قدراتكم.. وأخاف من الإعلام الزائد عن الحد.. ففي معركة الكرامة حدث انفجار للمشاعر العربية.. وأنا أخاف من الانفلات العاطفي.

❖❖❖